

أضواء البيان

@ 82 @ فالعذر له وجه في الجملة ، كما يشير إليه قوله تعالى في القصة في هذه السورة الكريمة { قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبِذْؤُمُ اللَّائِي أَنَا ذُوُ الْحِجَابِ } . وقال القرطبي : كأنه قال بملكننا الصواب بل أخطأنا . فهو اعتراف منهم بالخطأ . وقال الزمخشري : { أَفَطَالَ عِلَايُكُمْ الْعَهْدُ } : الزمان ، يريد مدة مفارقتهم لهم . . . تنبيه .

كل فعل مضارع في القرآن مجزوم ب (لم) إذا تقدمتها همزة استفهام . كقوله هنا : { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } فيه وجهان معروفان عند العلماء : . الأول أن مضارعتة تنقلب ماضوية ، ونفيه ينقلب إثباتاً . فيصير قوله : { أَلَمْ يَعِدْكُمْ } بمعنى وعدكم ، وقوله : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } بمعنى شرحنا ، وقوله : { أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهٗ عَيْذَيْنِ } ، جعلنا له عيين . وهكذا . ووجه انقلاب المضارعة ماضوية طاهر ، لأن (لم) حرف قلب القلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى الماضي كما هو معروف . ووجه انقلاب النفي إثباتاً أن الهمزة إنكارية ، فهي مضمنة معنى النفي ، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فنفيه ، ونفي النفي إثبات فيؤول إلى معنى الإثبات . .

الوجه الثاني أن الاستفهام في ذلك التقرير ، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول (بلى) وعليه فالمراد من قوله { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } حملهم على أن يقرؤا بذلك فيقولوا بلى هكذا . ونظير هذا من كلام العرب قول جرير : { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } حملهم على أن يقرؤا بذلك فيقولوا بلى هكذا . ونظير هذا من كلام العرب قول جرير : % (أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطَايَا % وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ) % . فإذا عرفت أن قوله هنا { فَارْجِعْ مُوسَى إِلَيَّ وَقَوْمُهُ غَضِبَانًا أَسِفًا } إلى قوله { بِمَلَأْكَذَا } قد بينا أن موسى لما رجع إليهم في شدة غضب مما فعلوا وعاتبهم قال لهم في ذلك العتاب { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } فأعلم أن بعض عتابه لهم لم يبينه هنا ، وكذلك بعض

فعله ، ولكنه بينه في غير هذا الموضع . كقوله في (الأعراف) في القصة بعينها : {
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ